دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	تربية الطفل: فلسفات وممارسات
المصدر:	مجلة الطفولة والتنمية
الناشر:	المجلس العربى للطفولة والتنمية
المؤلف الرئيسي:	حجى، أحمد إسماعيل
المجلد/العدد:	ع37
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2020
الصفحات:	13 - 32
رقم MD:	1082902
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
اللغة:	Arabic
قواعد المعلومات:	EduSearch
مواضيع:	الفكر التربوي، تربية الأطفال، علم النفس التربوي، شنايلر، رودلف، رياض الأطفال
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/1082902

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

تربية الطفل
فلسفات وممارسات

أ.د. أحمد إسماعيل حجي *

تهتم بلاد العالم ، المتقدم منها أولاً، وتقلدها النامية، في إطار انفجارات انتقال السياسات، تهتم بتربية الطفل اهتماماً منقطع النظير. ويجيء ذلك تمشياً مع الاهتمام بالتعليم المستمر مدى الحياة.

كان الإعلام العالمي لحقوق الطفل الصادر عام ١٩٥٩، قد أكد على ضرورة إتاحة الفرص الملائمة لينشأ الطفل في جو روحي واجتماعي وجسمي طبيعي، وفي ظرول ملائمة من الحرية والكرامة والأمن الاجتماعي في الغذاء والسكن والترفيه والخدمات الصحية. كما أكد الإعلان على ضرورة توفير الخدمات التربوية للأطفال.

وتلقى تربية الطفل في تراث الإسلام عناية ورعاية؛ إذ تتجلى نظرة الإسلام إلى الذات الإنسانية في أنها جملة قوى روحية ونفسية وعقلية وجسدية. ولقد أشار الإسلام إلى وحدانية هذه الذات في جميع الحالات؛ إذ ليس في الإسلام فصام بين روح وجسد. فلا توجد ذات نفس وذات عقل وذات روح، والروح والنفس والعقل كيان واحد مترابط اسمه الإنسان. والإنسان في فلسفة القرن"يعلو على نفسه بعقله، ويعلو على عقله بروحه".

ولم يكن المفكرون والفلاسفة ورجال التربية بعيدين عن الاهتمام بتربية الطفل في هذه السن.

فقد اهتم الفيلسوف الفرنسي جان جاك روسو Rousseau (١٧٧٨ – ١٨١٢)، في كتابه إميل L'Emile بضرورة توفير الحرية الكاملة للطفل في السنوات الخمس الأولى من حياته؛ حتي تنمو مواهبه وقدراته بشكل سليم. ورأى جان جاك روسو أن ذلك لا يتأتى إلا بالإقلاع عن عقاب الطفل. مع إشباع ميوله وتحقيق رغباته ، كما أكد روسو على أهمية اللعب بوصفه وسيلة مهمة لبناء جسم الطفل، وتنمية ثروته اللغوية بما يتمشى مع نموه العقلي.

ويرجع الفضل إلى بستالوتزي Pestalozzie (١٧٤٦ – ١٨٢٧) في تأكيده على أن دراسة

* استاذ التربية المقارنة والإدارة التعليمية – جامعة حلوان.

الطفل وبخاصة النواحي المتصلة بالنمو العقلي للطفل تعد أصلاً مهمّاً للعملية التربوية، وأن إنماء الشخصية يجب أن يكون هدفاً رئيساً للتربية والتعليم.

لقد صاح بستالوتزي صيحته المدوية بأن نظم التربية تحتاج إلى تغيير الهدف من التربية؛ فقد كان هدفها هو التعليم، لكن بستالوتزي رأى أن يكون الهدف هو النمو؛ لأن التربية عنده ليست مجرد التعليم. وأن تغيير الهدف إلى أن يكون (النمو) معناه أن الطفل هو محور اهتمام التربية لينمو بذلك نموّاً صحيحاً.

والتربية مطالبة باستغلال القدرات كافة التي زود الله بها الطفل، وأن يسمح بها بأن تعبر عن نفسها، ليتاح للطفل نمو صحيح ومتزن، طالما أن المربي – أمّا كانت أم معلماً – يعمل بجد لترقية نمو الطفل نموّاً شاملاً خلقيّاً وجسميّاً وعقليّاً.

وإذا كان الطفل في حاجة شديدة إلى تربية دينية خلقية ، فإنه في حاجة إلى أن يفكر، وأن يتعلم التفكير، أو بالأحرى أن يتعلم التأمل ويُعْمِل فكره، وتنمي التربية كل قواه العقلية؛ ليتمكن من التأمل بتأمل ما حوله.

اهتم بستالوتزي بأن تكون التربية مبنية على خبرة الطفل ومنطلقة منها، وأن تبدأ من البسيط و"تندرج بطريقة منطقية، وأن تراعى فردية الطفل، وأن ترتبط معرفة الطفل بالعمل من أجل تنمية قوى المتعلم وأن يتقدم عقله من القريب ومن الواقعي، وكل ما يحتك به الطفل.

ويعد فريدريك فروبل Frobel (١٧٨٢ – ١٨٥٢) مؤسس أول روضة للأطفال Kindergarten عام ١٨٤٠. وكانت اهتمامات فروبل منصبة على نشاط الطفل، ومن هنا فإن الألعاب والغناء من أبرز ما يميز روضة أطفال فروبل، وكان ذلك متمشياً مع ما كان يراه من أن الطفل في هذه المرحلة تتسلط عليه دوافعه وعواطفه أكثر مما تتسلط عليه أفكاره.

وفروبل، قبل أن يكون مربياً، فإنه فيلسوف ورجل فكر، رأى أن الغرض من التربية هو أن يحيا الإنسان في بيئة تؤثر فيه ويرغب هو أن يؤثر فيها؛ مما يوجب عليه أن يعرف ما تضمه البيئة من أشياء وبشر، وأن يتعرف كذلك طبيعتها وأحوالها وعلاقاتها ببعضها، وأن الكل وحدة، والكل باقٍ مادام في وحدة، وهذا الكل ينبع من الوحدة ويعمل ويناضل من أجلها، وإليها يعود أخيراً [٤].

هذا الفيلسوف المفكر، لم يعش في برجه العاجي مثل كثير من رجال الفلسفة، بل نزل إلى الأرض ليجرب ويدرس ويبحث ويختبر ويشاهد ويكتب ملاحظاته. بل نزل بفلسفته إلى واقع الحياة واختبر فكره ليخرج من ذلك بفكرة ما تزال تعيش تطبيقاتها روضة الطفل Kindergarten ، التي أخذ يفكر طويلاً في اسم لها، اسم لمكان تربية الأطفال الصغار، إلى أن فتح الله عليه بهذا الاسم

الذي ذكرته روضة الطفل، فولدت رياض الأطفال ، التي أرادها فروبل روضة، حديقة، جنة تتم فيها تربية الطفل وتنشئته. روضة يلعب فيها الطفل؛ إذ إن الطفل يحب اللعب، يجب أن يلعب ما يحلو له من ألعاب. هل هو يلعب بالفل؟

إنني أراه يعمل ، لكننا نقول إنه يلعب، هو – من وجهة نظره – يعمل بجد واجتهاد. واسأل عزيزي القارئ: ماذا يفعل الطفل إن انتزعته من لعبه؟ إنه يبكي بكاء مريراً.. لأنه كان يمارس عملاً جادّاً ولم يكن يلهو أو يعبث.

هناك ألعاب الحركة ، يلعب بالكرة ، يتحرك وراء الكرة التي تتدحرج أمامه ، ينتقل من مكان وموضوع إلى آخر ، يكتشف كل ما يحيط به، يلمسه ويمسكه ويتعرف على اسمه، يتحرك جسمه، يمشي، ثم يجري، يمثل ، يزور أمكنة لم يكن قد زارها من قبل. الروضة حديثة بها زرع، زهور ونباتات يعرف شيئاً فشيئاً أسماءها، يربى على المحافظة عليها، ويكبر وربما يشارك في ريها.. ويزرع ما يشاء في أحواضها، ويقطف ثمارها، يعتني بها وينظفها، ويلعب، بل يعمل مع أقرانه فيها تحت إشراف وبتوجيه يناسب سنه ونموه.

رأى فروبل أن تربية الطفل هي تنميته باعتباه كائناً ذكيّاً يفكر ويشعر بما يعمله، وأن المربي يهيئ له الفرص اللازمة للقيام بما يحب ولا يضع قيوداً على أنشطته ولا يكبت رغباته، ويساعده على أن يعبر عن قدراته.

وتربية الطفل عند فروبل تتطلب تهيئة البيئة المناسبة لتحقيق نموه، والطفل عنده، يسلك في علبه وحياته بما يتمشى مع إمكاناته وطبيعته الجسمية والعقلية والنفسية؛ فالطفل يرغب في النشاط ويتعلم عن طريق اللعب.

وكان لماريا منتيسوري ١٨٢٠ – ١٩٥٣ فضل التأكيد على "حرية الطفل في بيئة معدة له"؛ حيث تزود هذه البيئة بالإمكانات المادية، بما تتضمنه من أدوات وأجهزة ذات مواصفات تلائم الأطفال، وكذلك بالإمكانات البشرية وما ينضوي تحت لوائها من مشرفين أعدوا تربويّاً ونفسيّاً، يهيئون الظروف المناسبة لنمو الطفل؛ حيث يؤدي انهماك الطفل في النشاط إلى شعوره بالرضا والسعادة. ومدام منتيسوري بهذا تؤكد على ثلاثة أسس رئيسة يجب مراعاتها عند تربية الطفل قبل المدرسة وهي: مراعاة طبيعة الطفل، والظروف المادية من مكان وأدوات وأجهزة، وتوفير القوى البشرية المعدة والمؤهلة لتربيته.

وترى منتيسوري أن الطفل يحيا فترة الروضة من الثالثة إلى السادسة، وهي مرحلة بناء الفرد التي تنمو فيها الذاكرة والتفكير والإرادة وأن الطفل ينهمك في بناء نفسه، فيفضل العمل

على اللعب. والنظام على الفوضى، والهدوء على الضوضاء ، والاعتماد على النفس لا الاعتماد على الغير، والتعاون لا المنافسة.

لقد صممت منتيسوري نظاماً تربويّاً ، يقوم على المشاركة الإيجابية للطفل في إطار بيئة أعدت خصيصاً له لتنمية شخصيته بطريقة متكاملة وشاملة من النواحي الآتية:

١ – إتاحة الفرص للطفل ليتحرك ويختار بتلقائية ما يريد عمله، وبما يعمل على تنمية إمكاناته.

٢ – تمكينه من تحقيق التناسق الجسمي ، واكتساب المهارات الحركية.

٣– تنمية قدراته العقلية.

٤ – إتاحة فرص الاختيار الحر.

٥ – تحفيز الدافعية الداخلية وضبط النفس.

٦– المبادأة والإرادة والعزم.

ولا تنسَ أننا في هذه الأيام نتكلم عن مبادرات الأعمال وتربية المتعلمين عليها من الروضة إلى الجامعة Entrepreneurship، ولا تنسَ – بل ينبغي ألا تنسى – أن منتيسوري توفيت عام ١٩٥٢، أي منذ حوالي سبعين عاماً، لكن فلسفتها وأفكارها لم تمت، بل إنها أحييت في العالم كله الآن.

لقد لاقى بيت الأطفال الذي أنشأته منتيسوري وافتتح عام ١٩٠٧ نجاحاً كبيراً، واستمر الأطفال في برامجها يظهرون التركيز والانتباه والضبط الذاتي، وأخذت فصولها في جذب انتباه المربين والشخصيات العامة، وصادف عملها اعترافاً في بلدها إيطاليا ثم في سويسرا، وفتحت مدارس في باريس ومدن أوربية عديدة.

وانتشرت مدارسها خارج أوربا في الصين واليابان والهند وكوريا وأستراليا والأرجنتين والولايات المتحدة الأمريكية وغيرها، وحدث أن أنشئت جمعيات، تحمل اسم منتيسوري في الولايات المتحدة والمملكة المتحدة، ونشر كتابها: «طريقة منتيسوري، علم أصول التربية» باعتباره تطبيقاً لتربية الطفل في بيوت الأطفال ، وصدرت له طبعات بلغات أجنبية عديدة، منها الألمانية واليابانية والرومانية والهولندية والإسبانية وغيرها.

رأت منتيسوري أن كل طفل يتطور من خلال مجموعة من المراحل ، كل مرحلة فريدة من نوعها وتتطلب إستراتيجية تربوية مختلفة عن الأخرى. المرحلة الأولى ما بين سن الميلاد والسادسة من العمر، ويكتسب فيها الأطفال اللغة ويكتشفون العالم لأول مرة؛ حيث يبدأ الطفل في التفرقة بين الذات والآخرين، أما المرحلة الثانية فهي تبدأ من سن السادسة إلى اثنتي عشرة سنة ؛ حيث يبدأ الطفل في تطوير قدرته على الفكير المستقل والتفكير المجرد، وتتميز هذه المرحلة بالرغبة في

التفاعل الاجتماعي والعاطفي مع الآخرين. أما المرحلة الأخيرة فهي مرحلة المراهقة، وتحتاج تربية الطفل وفقاً لنموذج منتيسوري إلى تجهيز بيئة مناسبة بالمواد التعليمية والخبرات المتاحة للطفل بشكل منظم، بما يحقق له الحرية لاكتشاف المواد التي تناسبه؛ حتى يمكنه تحقيق الاستقلال وممارسة النشاط والتعلم.. وتحتوي الفصول الدراسية على العديد من الألعاب التعليمية اللازمة لتنفيذ منهارات منتيسوري من خلال مجموعة من الأنشطة الجذابة التي تسمح للطفل بالتعلم عن طريق اللعب.

ويعتمد هذا المنهج الدراسي على الاكتشاف والتركيز والانضباط الذاتي وحب التعلم والاعتماد على النفس وبناء الشخصية والاهتمام الشديد بالطفل ونموه اللغوي والحركي والحسي.

ويهتم المنهج بتنمية مهارات الحياة العملية أي "المهارات الأساسية المتعلقة بالتنظيم"، ويعتبر تدريب الحواس هو الأساس في التنمية الفكرية فتم وضع منهج لتدريب كل الحواس.

إن المعلم في مدارس منتيسوري هو الموجه بعيداً عن الروتين والتلقين والحفظ، ويهتم في الأساس بقدرات الطفل والاعتماد على حواسه والاكتشاف والتواصل مع العالم.

لقد انتشر تطبيق فلسفة منتيسوري في أنحاء العالم، كما يراعى إعداد المعلمين لتربية الطفل قبل ممارسة العمل، ويعتبر مجلس اعتماد منتيسوري لإعداد المعلمين Montessori Accrdditation Council for Teacher Education of MACTE

الرأس الأعلى لاعتماد برامج تدريب معلمي منتيسوري حول العام، وهو يضع معايير صارمة للبرامج التدريبية التي يمكن أن تعتمد من خلالها، وهناك عدة مؤسسات تابعة له تطبق تلك المعايير وتقدم برامج تدريبية معتمدة.

وقد انتشر في مصر والعالم العربي في الفترة الأخيرة استخدام منهج "منتيسوري" التربوي، في الكثير من المؤسسات التعليمية ورياض الأطفال، وارتبط اسم منتيسوري بالجودة العالية في تربية الأطفال وتنميتهم روحيّاً وفكريّاً وحركيّاً.

ويعتبر منهج منتيسوري أحد الأنظمة التعليمية العالمية التي تراعي تطوير قدرات الأطفال عن طريق أنشطة تجمع بين التفاعل مع البيئة والتعلم؛ حيث يعتمد على فلسفة تربوية تأخذ بمبدأ أن كل طفل يحمل في داخله الشخص الذي سيكون عليه في المستقبل. ومن ثم ينبغي إعارة اهتمام كبير لبناء هذا الطفل وتطويره من عمر ٣ إلى ١٨ سنة.

وهناك نظريات فيجوتسكي Vygotsky (١٨٩٦ – ١٩٤٤). عالم النفس السوفيتي، عن اللغة وتكوين المدركات التي كان لها أثر كبير في ميدان تربية طفل ما قبل المدرسة في بلاده وخارجها،

وبخاصة كتابه الفكر واللغة (١٩٣٦) ، الذي "أثر على النظرية النفسية داخل بلاده وخارجها". ولا يخفى أن فيجوتسكي قد تأثر بكتابات بياجيه الأولى، وهو يقسم النمو إلى ثلاث مراحل هي:

١ – مرحلة غامضة توفيقية Vague Syncretic.

٢ – مرحلة التفكير في الأشياء المركبة Thinking in complexes.

٣ – مرحلة إمكان تكوين المفهوم Potential concept stage.

أما جان بياجيه Piaget (١٨٩٦ – ١٩٨٠) عالم النفس السويسري، الذي اهتم بدراسات النمو ، فقد اهتم أساساً بالبحوث المتصلة بالنمو المعرفي وصلته بالرياضات واللغة، ونتيجة لهذه البحوث وضع بياجيه أساساً جديداً لتفسير ذكاء الطفل ونموه العقلي.

وقد أصدر بياجيه كتباً متعددة أثرت في ميدان تربية الطفل من أهمها: اللغة والفكر منذ الطفل (١٩٢٦)، وإدراك الطفل للعام (١٩٣٩)، ونمو التفكير المنطقي من الطفولة إلى المراهقة (١٩٥٨)، وميكانزمات الإدراك الحسي (١٩٥٩)، ومصادر ذكاء الطفل، وتكوين الواقع عند الطفل، واللعب والأحلام والتقليد في الطفولة، وعلم التربية وعلم نفس الطفل (١٩٧٠).

وعلى الرغم من أن بياجيه لم يشر في كتبه إلى أن أعماله ذات تطبيق مباشر في ميادين التعلُّم والتدريس، فإننا نجد أن نظرياته كان لها تأثير مباشر على التطبيق التربوي في بريطانيا أكثر من أي نظريات أخرى ، وقد أعلن بياجيه أن اهتمامه الأول هو نظرية المعرفة Epistemology.

وتتلخص طريقته في البحث والدراسة في المدخل الإكلينيكي القائم على المناقشة والأسئلة وجهاً لوجه للأطفال في كثير من المواقف المشكلة، وقد أدت بحوثه إلى وصف تحليلي لنمو المدركات الحسية والمنطقية والرياضية والخلقية الأساسية من الميلاد حتى المراهقة.

ويرى تشايلد أن بياجيه يؤكد على أهمية عوامل ثلاثة في التطور المعرفي، وهي : العوامل البيولوجية، والعوامل التربوية والثقافية، والأنشطة التي ينخرط فيها الطفل، وقد اهتم بياجيه بنشاط الطفل الحركي الموجه ذاته Self-directed باعتباره أساساً.

ويمكن القول إن نظرية بياجيه نظرية وراثية جينية Genetic؛ فالعمليات العليا تصدر من ميكانزمات حيوية لها جذورها في الجهاز العصبي للإنسان، وهي نظرية نضجية Maturational؛ حيث يرى بياجيه أن عملية تكوين المفهوم تسير وفقاً لنمط ثابت خلال مراحل مختلفة ومحددة، وهي أيضاً نظرية هرمية Hierarchical إذ يمر الفرد بهذه المراحل التي يحددها بياجيه وفقاً لترتيب معين، ولابد له حتى ينتقل إلى مرحلة أن يمر بالمرحلة السابقة عليها.

ويقسم بياجيه نمو الطفل إلى أربع مراحل، هي:

١ – المرحلة الحسية الحركية Sensori Moto Stage (العمر العقلي من الميلاد حتى الثانية من العمر) ، ويرى بياجيه أن العامَيْن الأولَيْن من عمر الطفل لهما أهمية كبرى في نموه ، كما أن للمشي والكلام واللعب وتكوين هوية شخصية الطفل دوراً مهمّاً في نمو المهارات الحركية والعقلية عنده. وعند نهاية هذه المرحلة يستحضر الطفل عالمه في صور عقلية ورموز.

٢ – مرحلة ما قبل العمليات Pre-Operational Stage وتستمر بين سنتين حتى السن السابعة، وتنقسم هذه المرحلة إلى حلقتَيْن: الأولى هي مرحلة ما قبل التصورات Pre-Conceptual Stage من ٢ – ٤ سنوات)، وهي تعني عند بياجيه أن الطفل لا يستطيع تكوين المدركات بنفس طريقة الأطفال الأكبر منه والمراهقين. والثانية هي مرحلة الحدس Intuitive stage (عمر الطفل العقلي من ٤ – ٧ سنوات).

٣ – مرحلة العمليات الواقعية Concrete Operational stage (من ٧ – ١١ سنة).

٤ – مرحلة العمليات الشكلية The formal operations stage (من ١١.٥ –).

ويرى تشايلد أن بياجيه يعتبر أول عالم على الإطلاق حاول تحليل تكوين المفهوم.

وقد ترتب على نظرياته في مجالات التطبيق التربوي إبراز أهمية اللغة بالنسبة إلى الطفل وتنبع من ذلك أهمية الكلام؛ حيث تساعد اللغة الطفل على تكوين المفاهيم، ومن هنا كان التفاعل اللفظي بين الطفل ووالديْه، وبينه وبين معلمه؛ حتى يتمكن من معرفة العالم المحيط به (٢).

ويذكر روت بيرد Ruth M. Beard أن بياجيه قد نجح في جذب الاهتمام بالمناشط التي يؤديها كل طفل وقدرته على تنظيمها ارتباطاً بالفرص المتاحة في بيئته، فالطفل الذي يعيش في بيئة تزخر بالاستثارة ومليئة بالأطفال والكبار الذين يلعبون معه وتثري خبراته وتساعده على تنظيمها، يبدي تقدماً وارتقاء في نموه عن غيره ممن يعيشون في بيئات أقل استثارة للنمو.

رودلف شنايلر (١٠٢٥ - ١٨٦١) وتربية قديمة جديدة للطفل

كان رودلف شنايلر فيلسوفاً وعالم اجتماع ومفكراً ومهندساً معماريّاً ، وهو نمساوي الأصل، عُرف ناقداً أدبيّاً وفيلسوفاً ثقافيّاً، وقد أسس حركة روحية، هي الأنثروبوسوفيا؛ بوصفها فلسفة باطنية نشأت من الفلسفة المتعالية الأوربية.

والأنثروبوسوفيا هي فلسفة أسسها رودلف شنايلر في أوائل القرن العشرين، وهو يفترض وجود عالم روحي موضوعي باعتباره مفهوماً فكريّاً. يمكن الوصول إليه من خلال التجربة الإنسانية، ويهدف أتباع الأنثروبوسوفيا إلى تطوير كليات عقلية للاكتشاف الروحي من خلال طريقة فكرية

مستقلة عن التجربة الحسية، كما يهدفون إلي تقديم أفكارهم بطريقة يمكن التحقق منها من خلال الخطاب العقلاني والسعي بالتحديد إلى الدقة والوضوح في دراسة النسخ المتطابق للعالم الروحي الذي حصل عليه المؤرخون الطبيعيون في التحقيقات حول العالم المادي.

تعود جذور هذه الفلسفة إلى الفلسفات الألمانية المثالية والصوفية ، وقد اختار شنايلر مصطلح الأنثروبوسوفيا (من الحكمة البشرية، البشرية وصوفيا) للتأكيد على التوجه الإنساني لفلسفته، وتم استخدام الأفكار الأنثروبوسوفية في حركات بديلة في العديد من المجالات بما في ذلك التعليم (سواء في مدارس والدورف وحكمة كامفيل)، والزراعة ، والطب، والخدمات المصرفية، والتطوير والتنظيم، والفنون.

ويشير الوصف الأكثر تفصيلاً إلى أربعة جوانب ومستويات أساسية للأنثروبوسوفيا:

١ – الأنثروبوسوفيا هي فلسفة روحية، طورها أساساً رودولف شنايلر (١٠٢٥ –١٨٦١) في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وولدت من فلسفة الحرية التي تعيش في جوهر الأنثروبولوجيا، ولمعرفة المزيد عن الأنثروبولوجيا ورودولف شنايلر من هذا المنظور، انظر هنا هنا وهنا.

٢– إنها طريق إلى المعرفة أو البحث الروحي ، تم تطويره على أساس الفلسفة المثالية الأوربية، التي ترسخت في فلسفات أرسطو، وأفلاطون، وتوماس الأكويني، ويتم تعريفه بشكل أساسي من خلال طريقة البحث، وثانياً بالمعارف والخبرات المحتملة التي يؤدي إليها.

من هذا المنظور، يمكن أيضاً أن نسمي الأنثروبوسوفيا بالعلم الروحي، وعلى هذا النحو، فهو ليس محاولة لتطوير علمي طبيعي فقط، ولكن أيضاً لتطوير بحث علمي روحي على أساس التقليد المثالي، بروح النضال التاريخي الذي أدى إلى تطور العالم الحديث.

وعلى هذا الأساس، تسعى الأنثروبوسوفيا إلى سد الفجوات التي تطورت منذ العصور الوسطى بين العلوم والفنون والمساعي الدينية للإنسان باعتبارها المجالات الرئيسة الثلاثة للثقافة الإنسانية، وبناء الأساس لتوليفها من أجل المستقبل والمنظمة المركزية للزراعة، هذا فيما يتعلق بالأنثروبوسوفيا التي تعد مدرسة للعلوم الروحية، ولها مركز في دورناخ بسويسرا Goetheanum.

٣ – الأنثروبوسوفيا هي أيضاً دافع لرعاية حياة الروح في الفرد وفي المجتمع البشري، وهذا يعني من بين أشياء أخرى رعاية احترام الآخرين والاهتمام بهم على أساس إنساني بحت بمعزل عن أصلهم ووجهات نظرهم.

والمنظمة المسئولة عن ذلك هي الجمعية الأنثروبوسوفية، والتي توجد بشكل عالمي، بوصفها مجتمعات وطنية فلكية، ومجموعات تشكلت على أساس الموضوع، ولمعرفة المزيد عن هذا، انظر هنا للاطلاع على المجتمعات الأنثروبولوجية في الولايات المتحدة والمملكة المتحدة ، انظر هنا وهناك.

٤- وعلى الرغم من تأصيلها في فلسفة الحرية، التي تمَّ تطويرها وسيلة من وسائل البحث الروحي ودافعاً لتربية اهتمام إنساني خالص لدى الآخرين، فإن لها أيضاً تداعيات عملية محتملة ، وحياة مثل التطبيقية أو الأنثروبوسوفيا العملية في مختلف "ركات الابنة" الأنثروبوسوفيا.

وأكثر الحركات ابتكاراً في حركات الأنثروبوسوفيا هي الزراعة الحيوية.

والمنظمة الرئيسة التي بنيت أصلاً للتعاون بين المنظمات والمؤسسات والشركات الأنثروبولوجية هي الجمعية المدنية العامة للجمعية الأنثروبولوجية، ولها مركز في دورناخ بسويسرا، والمنظمة المقابلة في الولايات المتحدة هي مجلس المنظمات الأنثروبوسوفية.

ومن المهم هنا التأكيد على سياق الأنثروبوسوفيا باعتبارها سياقاً عاماً مجتمعيّاً، حياتيّاً بينيّاً وتربويّاً وزراعيّاً وسلوكيّاً، وليس فقط مجرد التعليم، ويؤكد ذلك أنها تتضمن:

١ - الزراعة الحيوية

الزراعة الحيوية ، أول شكل مقصود للزراعة العضوية، بدأ في عام ١٩٢٤، عندما ألقى رودولف شتاينر سلسلة من المحاضرات المنشورة باللغة الإنجليزية باسم دورة الزراعة، ويعتبر شتاينر أحد مؤسسي حركة الزراعة العضوية الحديثة.

٢ - الطب الأنثروبوسوفي

ألقى شتاينر سلسلة من المحاضرات للأطباء وطلاب الطب، ومن بين هؤلاء نمت حركة طبية بديلة تهدف إلى "توسيع المعرفة المكتسبة من خلال أساليب العلوم الطبيعية في العصر الحالي مع رؤى من العلوم الروحية". وله عيادات ومستشفيات وكليات طبية خاصة به.

٣ - الهندسة المعمارية

صمم شتاينر حوالي ثلاثة عشر مبنى بأسلوب معماري تعبيري عضوي، وأهم هذه التصميمات له مباني Goetheanum في دورناخ، بسويسرا. وقد بُنيت آلاف المباني الأخرى على يد الأجيال اللاحقة من المهندسين المعماريين الأنثروبوفوسيين.

٤ - التمويل الاجتماعي وريادة الأعمال

يوجد في جميع أنحاء العالم اليوم عدد من البنوك والشركات والجمعيات الخيرية والمدارس

لتطوير أشكال تعاونية من الأعمال التجارية باستخدام أفكار شتاينر حول الجمعيات الاقتصادية؛ بهدف تحقيق أدوار متناغمة ومسئولة اجتماعيّاً في الاقتصاد العالمي. وأول بنك أنثروبوسوفي كان Gemeinschaftsbank fur Leihen and Schenbken في بوخوم، بألمانيا، أسس في عام ١٩٧٤، ومن بين البنوك المسئولة اجتماعيّاً والتي أسست انطلاقاً من الأنثروبوسوفيا في العالم الناطق باللغة الإنجليزية، بنك تريودوس، الذي أسس عام ١٩٨٠ ونشط في المملكة المتحدة وهولندا وألمانيا وبلجيكا وإسبانيا وفرنسا.

٥ - التطوير التنظيمي، وتقديم المشورة وعمل السيرة الذاتية

أسس برنارد ليفيجيد، وهو طبيب نفسي، طريقة جديدة للتنمية الفردية والمؤسسية الموجهة لإضفاء الطابع الإنساني على المنظمات التي ترتبط بأفكار شتاينر للنظام الاجتماعي الثلاثي، ويمثل هذا العمل معهد NPI للتطوير التنظيمي في هولندا والمنظمات الشقيقة في العديد من البلدان الأخرى، وتم تطوير أشكال مختلفة من سير العمل الشخصي والاستشاري على أساس الأنثروبوسوفيا.

٦ - الكلام والدراما

هناك أيضاً حركات فلسفية لتجديد الكلام والدراما، تستند إلى أعمال ماري شتاين فون سفرز (تكوين الكلام، والمعروف أيضاً باسم الخطاب الإبداعي)، ورطيقة تشيكوف التي أنشأها مايكل تشيكوف (ابن أخ أنطون تشيخوف).

٧ - **ظهرت اللوحة الأنثروبوسوفية**، وهي أسلوب مستوحي من رودولف شتاينر، بشكل بارز في قبة Goetheanum ، بدأت الأولى هذه التقنية في كثير من الأحيان – عن طريق ملء السطح المراد تلوينه بالألوان، والتي يتم تطوير أشكال منها تدريجيّاً، وغالباً ما تكون الصور ذات أهمية زمنية روحية، وأفضل الدهانات التي تسمح بالعديد من الطبقات الشفافة، غالباً ما يتم اشتقاقها من مواد نباتية، وقد عين رودولف شتاينر النحات الإنجليزي إديث ماريون رئيساً لمدرسة الفنون الجميلة في Goetheanum.

٨ - رعاية وتربية ذوي الاحتياجات الخاصة

في عام ١٩٢٢، أسس إتا فيجمان مركزاً فكريّاً لتعليم ذوي الاحتياجات الخاصة، في sonnenhof بسويسرا في عام ١٩٤٠، وأسس كارل كونيج حركة كامفيل في اسكتلندا، وانتشرت الأخيرة بشكل خاص على نطاق واسع، وهناك الآن أكثر من ١٠٠ مجتمع من الكافيل وغيرها

من المنازل الأنثروبوسوفية للأطفال والكبار الذين يحتاجون إلى رعاية خاصة في حوالي ٢٢ دولة حول العالم.

وتعتبر منظمة التعاون الأوربي في التربية العلاجية الأنثروبوسوفية والعلاج الاجتماعي التي أسست في عام ١٩٩٢ في هولندا تحت إشراف ذوي الخبرة الخاصة على المستوى الأوربي نموذجاً إقليمياً تتعاون مع المنظمات الأخرى في مشروعات دمج ذوي الاحتياجات الخاصة في المجتمع، والجمعيات الأعضاء في مجموعة واسعة من المرافق، بما في ذلك التعليم والعمل وسكن الرعاية، ودعم الأسر، والخدمات المنزلية والعلاج الطبيعي، مثل العناية الطبية.

وهي منظمة غير حكومية (N.G.O)، تشارك في العديد من البرامج الأوربية وهي واحدة من مؤسسي المنتدى الأوربي للإعاقة (E.D.F)، الذي أنشئ عام ١٩٩٧. ومهمة المنظمة تعزيز تكافؤ الفرص وحقوق الإنسان للمعوقين (حوالي ٣٧ مليوناً) في أوربا، وتحفيز التحزز والاندماج في المجتمع، من خلال المشاركة في النقاشات على المستوى الأوربي ونشر الوثائق.

وفي إبريل عام ١٩١٩م قام رودولف شتاينر بزيارة مصنع والدورف استوريا للسجائر في شتوتجارت بألمانيا، بدعوة من مدير المصنع إميل مولت؛ حيث كانت ألمانيا قد خرجت مهزومة في الحرب العالمية الأولى وتتأرجح على شفا الفوضى الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وتحدث شتاينر إلى العمال حول الحاجة إلى التجديد الاجتماعي لإيجاد طريقة جديدة لتنظيم المجتمع وحياته السياسية والثقافية.

وطلب صاحب المصنع منه تأسيس وإدارة مدرسة للأطفال العاملين بالمصنع ووافق رودلف على ذلك. وفي سبتمبر انتقلت المدارس بعد ذلك إلى أمريكا الشمالية عام ١٩٢٨، والآن يوجد أكثر من ١٢٠٠ مدرسة و١٤ مركزاً لتدريب المعلمين في أكثر من ستين دولة تحت اسم مدارس والدورف.

مدارس والدورف

أسست المدارس في مجموعة متنوعة من المجتمعات: مثل الأحياء الفقيرة في ساو باولو والضواحي الغنية للمدن الكبرى، وفي الهند ومصر وأستراليا وهولندا والمكسيك وجنوب إفريقيا على الرغم من أن معظم مدارس والدورف المبكرة تأسست على أساس المعلمين، إلا أن المدارس اليوم عادة ما يتم تأسيسها ودعمها لاحقاً من قبل مجتمع أولياء الأمور.. وتعد مدارس والدورف من أكثر المؤسسات الأنثروبوسوفية بروزاً.

كما ظهرت طريقة تعليم والدورف بالمدارس، التي عرفت بهذا الاسم نسبة إلى المصنع الذي

بدأت فيه على يد هذا الفيلسوف النمساوي رودولف شتاينر، وهي تقوم على أساس إدراك أن الإنسان جسد وعقل وروح، ويعكس التعليم المراحل الرئيسة لنمو الطفل من مرحلة الطفولة إلى سن البلوغ، ويركز المعلم وفقاً لطريقة والدورف على تعزيز استقلالية الطفل عن مظهره الخارجي، وتهدف طريقة والدورف إلى تمكين الأطفال كلية من اختيار مسارهم في الحياة بحرية، وتراعى الأنشطة المتبعة في طريقة والدورف احتياجات التطور الخاصة بالأطفال، في ظل إدراك أن الأطفال يتعلمون بالتقليد والمحاكاة مع التركيز على الأنشطة الواقعية، عوضاً عن المختلفة لتدعيم علاقة الطفل بالمجتمع المحيط.

ويعد التناغم والاتساق من المبادئ المهمة، فيبدأ اليوم بتشكيل دائرة لمدة ١٥ دقيقة؛ حيث تبدأ الأسرة مجتمعة في ترديد أناشيد الصباح وتقضي ما يقرب من ٤٥ دقيقة في التركيز على القراءة والكتابة، ويخصص بعض الوقت للأعمال الحرة؛ حيث يتصرف الوالدان لقضاء مهامهم المعتادة مثل إدارة شئون المنزل خلال مراقبة الطفل لذلك لينتهي به الأمر بتقليده، ويشارك الأطفال في تجهيز وجبات الطعام والتنظيف ويحتاج الأطفال إلى الخروج بكثرة لتعلم العلوم في بيئتها.

- يبدأ الأطفال صباحهم بالغناء والعزف على الفلوت، ولا تسير مدارس والدورف وفق نظام الحصص، بل يتم تدريس موضوع ما لفترة تستمر أسبوعيْن أو ثلاثة أسابيع حتى ينتهي هذا الموضوع تماماً. ويتيح طول فترة التدريس للمعلم أن يتناول مع تلاميذه الموضوع من جميع جهاته المعرفية والمهارية والوجدانية عن طريق الرسم والنحت والحكي والموسيقى والغناء والمسرح والرقص والرياضة والأعمال اليدوية (حياكة، ونجارة، وحدادة في المراحل المتقدمة)، ويلاحظ أن المواد التعليمية متداخلة مع الفن والأسطورة والرحلات في الطبيعة.
- يعتمد الجميع على كراسات رسم كبيرة نسبيّاً ، تتحول إلى مصدر معلومات للتلميذ، من خلال ما يتم بحثه في الصف؛ فالتلميذ يصنع مراجعه بنفسه فهو يرسم المعلومات ويكتبها وتتحول هذه الدفاتر إلى لوحات، ولا توجد كتب مدرسية.
- يتابع المعلم الأطفال ويراقب تطور واهتمامات وخصائص كل واحد منهم ويكتب عنه تقارير تفصيلية دورية تحتوي على نمو معارفه وشخصيته؛ لأن المنهج التربوي لمدارس والدورف يرى أن الهدف من هذه الفترة، ليس تلقين التلاميذ المعرفة، وإنما ليعيشوها، ويكون التركيز على تأمل الطبيعة والاندماج معها والحث على الاستقراء؛ ولا يوجد بالتالي تقييم بالعلامات للأطفال.
- يتعلم التلاميذ الصغار الأرقام من خلال الثمار التي تلمسها أصابعهم، وتشمها أنوفهم، وترى ألوانها عيونهم، والحروف يدرسونها من خلال تجسيد شكل الحرف بأجسامهم، بتحريك

الأذرع والسيقان والرأس وبقية الجسم في الهواء؛ لرسم صورة الحرف، على أن يكون الرسم بألوان الشمع الطبيعي.

- في المرحلة الثانوية من عمر ١٤ – ١٩ يبدأ تطوير الفهم الواعي والعقلي الحر والمفاهيم الأخلاقية مثل حس المسئولية الاجتماعية؛ لكي تتوافق مع تطوير القدرة على التفكير التجريدي والحكم العقلي.
- الحفاظ على البيئة من أهم أهداف المدرسة؛ لأن التعلم يعتمد على نظرية وحدة الإنسان بالكون. لذلك فإن المدارس تقع في الطبيعة ، حولها دوماً خضرة وأشجار، وتحرص المباني المدرسية على الانسيابية في الشكل، من دون زوايا حادة تصدم العين، ومن دون ألوان فاقعة، كل البيئة المحيطة، لابد أن تكون جميلة ورقيقة ومرتبة.
- تقوم الصفوف بتنظيم حفلات موسيقية وغنائية ومسرحية وتظاهرات فنية بعرض أعمال طلابها، وما تمَّ تحضيره خلال السنة الدراسية وبكل الفئات العمرية في صالات كثيرة؛ حيث تلقى إقبالاً وحضوراً رائعيْن.
- كل مدرسة تتمتع بالاستقلالية، فإن كل واحدة منها لا تخضع إلا لمساءلة الهيئة التدريسية وأولياء الأمور فقط والحياة المدرسية تجدها تعيش حالة لا سلطوية فريدة من نوعها بغياب الإدارة بشكل تام (بوجود تعيينات شكلية فقط)، فالجميع (طلاب ، أهالٍ، مدرسون) يتقاسمون العمل بكل مسئولية وبكل حب، ليس هناك من يقوم بأعمال التنظيف؛ فالطلاب أنفسهم ينقسمون إلى مجموعات تقوم بتنظيف الصف يومياً عند الانتهاء من الدوام المدرسي بعمل يدوم مدة عشر دقائق. (صورة الصف).
- توفر المدرسة أسلوب تعليم حر؛ ولذلك يرون أن مدارس والدورف توفر للأطفال، هذا النمط المختلف من الحياة، والرؤية المتأملة للكون، وتطوير شخصية تعيش في الطبيعة باعتبارها جزءاً منها.
- تؤكد المدرسة على ضرورة احترام العقائد الدينية والتاريخية تبعاً للبلد الذي تقع فيه، وتؤكد على عدم خلق صدام مع المحيط الروحي والإنساني للتلاميذ ، بل على العكس تنطلق منها للتعرف على كل الحضارات والمعتقدات والالتقاء بها.
- يبدأ التعليم الموسيقي بالغناء في مرحلة الطفولة المبكرة، ويظل التعليم الموسيقي عنصراً مهمّاً حتى نهاية المرحلة الثانوية؛ حيث عادة ما يتعلم التلاميذ العزف على الفلوت الخماسية والمسجلات و/أو الجيتارات في الصفوف الابتدائية المبكرة.

- وتستخدم المنهجية العلمية للمدارس "المنهج الظاهراتي" في تعليم العلوم من خلال منهجية مثالية للتعلم القائم على الاستقصاء بهدف "تعزيز الاهتمام والقدرة على الملاحظة" لدى التلاميذ، وزرع شعور "الكمال" فيما يتعلق بمكانة الإنسان في الطبيعة.
- وتحظر مدارس والدورف على الأطفال استخدام التكنولوجيا في المدارس ، ويشمل ذلك عدم مشاهدة التلفزيون أو الدخول إلى المبنى ومعهم الهاتف المحمول، ويبدأ استخدام التكنولوجيا لمن هم في سن المراهقة فقط.
- يهدف تعليم والدورف إلى تثقيف الأطفال بمجموعة واسعة من التقاليد الدينية دون تفضيل أي منها، وأحد أهداف شتاينر الرئيسة إنشاء بيئة روحية غير طائفية للأطفال من جميع الخلفيات التي أدركت قيمة نماذج القدوة المستمدة من مجموعة واسعة من التقاليد الأدبية والتاريخية في تطوير خيال الأطفال والخيال الأخلاقي.
- وتقدم برامج تدريب المعلمين للعمل في مدارس والدورف دورات في تنمية الطفل، ومنهجية تعليم والدورف، والمواد الدراسية المناسبة لتخصص المعلمين في المستقبل، ودراسة النصوص التربوية وغيرها من الأعمال التي كتبها شتاينر للمعلمين في مرحلة الطفولة المبكرة والمدارس الابتدائية، ويشتمل التدريب على عمل فني كبير في سرد القصص والحركة والرسم والموسيقى والعمل اليدوي، ويشمل تدريب المعلمين التطور الاجتماعي – العاطفي باعتباره "عنصراً أساسيّاً ومتكاملاً"، وهو أمر غير مألوف بالنسبة إلى التدريب.
- إن اعتقاد شتاينر أن جميع الناس مشبعون بنواة روحية عززت المهمة الاجتماعية لمدارس والدورف، وكانت المدارس دائماً مشتركة ومفتوحة أمام الأطفال من جميع الطبقات الاجتماعية، لقد تمَّ تصميمها من البداية لتكون مدارس شاملة منها ١٢ عاماً تحت إشراف معلميها، بدلاً من الدولة أو السلطات الخارجية الأخرى.

برنامج معلم تربية الطفولة المبكرة لمدارس والدورف

برنامج معلم الطفولة المبكرة هو دورة دراسية بدوام جزئي لمدة ٣ سنوات – عطلة نهاية الأسبوع من سبتمبر إلى مايو و٤ أسابيع مكثفة في الصيف – منتصف يونية إلى منتصف يولية. وقد تمَّ تصميم البرنامج على حد سواء لإعطاء فهم واسع لنهج والدورف وقيادة الطلاب في عمق عملهم المقصود مع الأطفال من الولادة إلى سبع سنوات ، ليدرس الطلاب مع أفواجهم على مدار ٣ سنوات، ويتعلموا وينموا معاً في بيئة داعمة اجتماعيّاً.

ويوفر البرنامج تجربة تعليمية متكاملة للكبار والطلاب، وتجربة جميع الجوانب الفلسفية والتطبيق العملي للتدريس، وتعتبر الطبقات الفنية في الموسيقى والرسم ودروس التأمل ودراسة الأنثروبولوجيا ضرورية لتجديد البالغين ولتطوير القدرات اللازمة كمدرس والدورف.

ويحتوي البرنامج على ثلاثة مجالات رئيسة للتركيز:

- فلسفة والدورف التربوية، وتنمية الطفل والطبيعة والدراسات الثقافية.
- النمو الشخصي والتنمية الداخلية من خلال الطبقات الفنية ودراسة الأنثروبولوجيا.
- تتبع الطفولة المبكرة فصولاً محددة لتتعلم مبادئ وممارسات العمل مع الطفل الصغير.
- تتم دراسة التركيز ١ و ٢ أعلاه معاً ككتلة صف متكاملة، وينقسم الفوج في التركيز ٣ بالطبع إلى مسارات محددة.

عملية البرنامج والأهداف

يقدم البرنامج بوصفه تعليماً للكبار وبمثابة تطور شخصي ومهني؛ فالطريق إلى معلم والدورف للطفولة المبكرة الناجح هو أحد الطرق التي تتطلب العمل الذاتي، وتطوير الحواس ومهارات الملاحظة، والقدرة على التفكير ومعالجة الخبرات، والدورات عبارة عن هياكل لتزويد الطلاب بتجربة عميقة وتحويلية تدريجية؛ حيث ينتقل البرنامج من الدورات التمهيدية من خلال تعميق الخبرات والاستجواب حتى يتمكن الطلاب من التنقل في طريقهم، والحفاظ على تميزهم الخاص في أثناء توجههم إلى الجوانب الأعمق لنهج والدورف.

ويركز البرنامج على القدرات والاتجاهات الآتية:

- شعور جمالي ضروري لتوفير البيئة المناسبة للطفل الصغير.
- شعور صحي بالجوانب الإيقاعية للحياة – ليلاً ونهاراً – ، وتدفق الأسبوع، والمواسم والسنة.
- اتصال عميق بممالك الطبيعة.
- القدرة على قيادة الأنشطة العملية للخبرة والأشغال اليدوية.
- القدرات الفنية لتكوين قيادة الغناء والموسيقى والحركة ووقت الدائرة.
- مهارات سرد القصص للتعلم والرواية من الذاكرة وحكاية القصص التقليدية حول العالم، وتطوير الصوت والقدرة على إنشاء صور إبداعية.
- القدرة على صياغة مجموعة واسعة من الدمى، وإنشاء لعب الدمى المناسبة لمختلف الأعمار.
- القدرة على تنمية الحياة الداخلية للمعلم لدعم الأطفال والأسر ورعايتهم.

رياض الأطفال:

ثمة تأكيد على أن تربية الطفل قبل المدرسة في مؤسسات تربوية خاصة يمكن أن تأخذ شكل التربية التعويضية Compensatory Education ، تلك التربية التي تقدم على أساس أن الرعاية المنزلية والبيئية للطفل محدودة للغاية؛ الأمر الذي يجعل نمو الطفل الاجتماعي متأخراً نتيجة للحرمان الثقافي Cultrual Deprivation.

وفي بعض الحالات، فإن دور تربية الطفل قبل المدرسة ربما توجه نحو علاج مساوئ الظروف البيئية، وهذه الميادين يشار إليها أحياناً باسم ميادين الأولويات التربوية Educational Proiority Areas (EPA).

وهنا تلعب الخدمات الاجتماعية فوراً مهمّاً ونشطاً في تحقيق الاتصال Liaison بين البيت وهذه الدور.

وينبغي أن نقرر ابتداء أن مؤسسات تربية الطفل قبل المدرسة هي مؤسسات تربوية ، وليست مدارس يتعلم فيها الأطفال مقررات دراسية.

إن هذه المؤسسات إن هي إلا بيئات تربوية أسست لتنشئة الطفل اجتماعيّاً وتربويّاً؛ بحيث تتيح له فرص النمو "المتكامل".

فمن ناحية يجب الاهتمام بإتاحة الفرص لتنمية حصيلة الطفل اللغوية، تنمية تتمشى مع قدراته وإمكاناته ومع الخلق القويم في الوقت ذاته، واحتكاك المربية بالأطفال باستمرار، وتواصلها لغويّاً معهم. وإتاحتها لفرص التواصل بينهم وسيلة مهمة لنموهم لغويّاً. ويعد النمو اللغوي من ركائز نمو الطفل عقليّاً. ومن ناحية ثانية فإن لهذه المرحلة ولهذه المؤسسات أهمية في تكوين الميول والاتجاهات والقيم: النظافة، والتعاون والمشاركة، وحب العمل واحترامه وتقديره، وسلوك المربية في تربية الأطفال من أسس تكوين هذه الاتجاهات والقيم. ونعني بسلوكها أن تنمي قدرة الأطفال، وأن تحسن توجيههم وتهيئة الفرص والمواقف التربوية الملائمة.

ومن ناحية ثالثة يحتاج طفل هذه المرحلة إلى إتاحة فرص النمو الجسمي عن طريق اللعب والحركة والنشاط والرعاية الصحية.

ولقد أدرك المربون والفلاسفة المسلمون أن من طبيعة الطفل أنه ميال إلى الحركة والنشاط. كما أدركوا أن في هذا النشاط يقظة العقل وصفاء الذهن. ومن ثم فإنه من غير الطبيعي أن يكون الطفل هادئاً وساكناً. ويقول ابن مسكويه: "ينبغي أن يؤذن للطفل بأن يلعب لعباً جميلاً، ولا يكون في لعبه ألم ولا تعب شديد".

ويستمد اللعب أهميته من أن لدى طفل هذه المرحلة "شهية طبيعية للحركة"، وهو يحتاج إلى الحركة كحاجته إلى الأكل والنوم"، كما أن اللعب يحقق للطفل متعة وسروراً.

والطفل الصغير يشعر بالرغبة الجارفة في معرفة العالم المادي وإدراكه؛ لذلك فإنه يقوم بلمس الأشياء وحملها وقذفها، ويقول الدكتور عبد العزيز القرمي: إن اللعب يعد مرادفاً للشعور باللذة والسعادة، وهو الذي يكسب الطفل خبرة سريعة واسعة المدى ، يدرك بها خواص العالم المادي.

ويحقق اللعب فوائد كثيرة للطفل:

- فهو بدنيّاً ، يساعد على نمو عضلات الطفل، كما أنه يساعد على استغلال الطاقة الزائدة عنده، تلك الطاقة التي يمكن أن تؤدي إلى توتره ما لم تجد سبيلاً إلى التعبير.
- وهو اجتماعيّاً، يجعل الطفل يتصرف بطريقة اجتماعية، ومن دونه يصير الطفل أنانيّاً وميالاً إلى السيطرة، والطفل من خلال لعبه مع الآخرين يتعلم المشاركة والتعاون، واللعب يتيح الفرصة للطفل لتبنيه الأحكام الخلقية، كما يقول بياجيه.
- هو تربويّاً، يساعد الصغار على إدراك الأشكال والألوان والحجوم والملمس.
- ويتطور لعب الطفل من اللعب الآلي البسيط بالدمى إلى اللعب الاجتماعي مع الآخرين، ثم إلى اللعب الدرامي واللعب البناء.
- ويبدو أن الأطفال يغفلون اللعب الفردي، أو اللعب جنباً إلى جنب دون اختلاط، وبعد ذلك فإنهم ينخرطون في لعب تعاوني وجماعي. ويميل طفل الثالثة إلى اللعب مع عدد قليل من الأطفال في مشروعات تعاونية مشتركة كبناء القناطر، ويفضل طفل الرابعة اللعب مع أطفال آخرين لعباً دراميّاً معقداً، أما طفل الخامسة فإنه يلعب مشروعات تستغرق وقتاً طويلاً، ويميل إلى الخروج في رحلات مع أصدقائه.
- واللعب على هذا يساعد الطفل على اكتساب خبرات الحياة، وهو "الطريق الأسمى – كما يرى المحللون النفسيون– لفهم المحاولات التي يقوم بها نفس الطفل للتوفيق بين الخبرات المتعارضة التي يمر بها؛ إذ يكشف الطفل الذي يعاني من مشكلة خاصة عن نفسه وعن مشكلته عن طريق اللعب بشكل لا تعادله طريقة "أخرى".
- واللعب – بناء على ما تقدم – يعتبر مجالاً خصباً يساعد الطفل على اكتساب السلوكيات والخبرات العربية.
- ونذكر في هذا العدد اهتمام فريدريك فروبل Frobel بالألعاب بشكل يتمشى مع نمو الطفل

بحيث تأخذ هذه الألعاب شكلاً بسيطاً في أول الأمر، وتأخذ بعد ذلك أشكالاً تزداد تعقيداً مع تقدم عمر الطفل.

- وإذا كان الطفل في ظروف حياة أسرته لا يجد مكاناً يمارس فيه لعبه بحرية، فضلاً عن عدم توفر الألعاب بشكل يتمشى مع نموه، فإن مؤسسات تربية الطفل قبل المدرسة تقوم بدور مهم إن هي وفرت للطفل المكان المناسب والأدوات التي تمكن الطفل من اللعب في ظل إشراف تربوي سليم.
- وحتى لا يكون هناك خلط بين مؤسسات تربية الطفل قبل المدرسة، يقرر التربويون أن هناك دار الحضانة، ويلتحق بها الأطفال حتى سن الثالثة، وروضة الأطفال يلتحق بها أطفال ما بعد الثالثة وحتى سن ما قبل التعليم الابتدائي. نقول : (سن ما قبل التعليم الابتدائي)؛ لأن هناك بلاداً يلتحق فيها الأطفال بالمدرسة الابتدائية في سن الخامسة، كما هو الحال في بريطانيا، وبلاداً يلتحق أطفالها بهذه المدرسة في سن السادسة، كما هو الحال في فرنسا ومصر، وأخرى يلتحق الأطفال بمدارسها الابتدائية في سن السابعة، كما هو حادث في بعض الولايات الأمريكية. وقد حدا هذا بنا إلى عدم تحديد سن ينتهي عندها بقاء الطفل في رياض الأطفال، فهي قد تكون الخامسة أو السادسة أو السابعة أو غير ذلك، وفقاً لما هو مقرر في كل منها من بدء سن الإلزام في التعليم.
- ولأن الطفل في (الروضة) يجب أن تتاح له مختلف الفرص لكي يلهو ويفرح ويضحك ويتمتع، فإنه ينبغي ألا يتلقى دروساً، و ينبغي ألا تكون هناك حصص وجدول دراسة.
- إن هذا يعني أنها ليست مرحلة للتدريس، ومن هنا فإن المعلمة أو المشرفة لا تقف أمام الأطفال، ولكنها تقف بينهم. فرق بين أن تقف بين الأطفال، وأن تقف أمامهم، ووقوفها أمامهم يعني التدريس، يعني الإلقاء. والطفل في هذه المرحلة ليس إنساناً مستمعاً فقط، ولكنه إنسان يريد أن يسمع ، وينبغي أن يستمع إليه.. ومن المهم جدّاً أن نستمع إلى الطفل، وكم من الأطفال يذهبون إلى الروضة للعب واللهو والسرور، وليروا زملاءهم أو معلمتهم، وهم يودون أن يجدوا من يستمع إليهم بإنصات، والطفل بذلك يتعلم، يتعلم أن ينصت إلى الآخرين، ويتعلم آداب الحديث، والطفل وهو يتعلم يربى من خلال تعلمه ومن خلال مختلف المواقف التي يمرّ بها.
- وتخريجاً مما سبق؛ يمكن القول إن تربية الطفل في رياض الأطفال تحتاج إلى:

أ – مكان معد، والمكان يجب أن يكون مجهزاً بالإمكانات المختلفة المطلوبة لتلبية حاجات الطفل

ورعايته وتربيته، فلا تتكون روضة للأطفال، إلا إذا أتيح للطفل فيها أن يلعب ويجري ويلهو وينمي جسمه وعقله وروحه، وهذه التنمية الجسمية بخاصة تحتاج إلى أماكن وتحتاج إلى تجهيزات تتفق مع نمو الطفل بمثل ما أن تنمية عقل الطفل وروحه تحتاج إلى أجهزة وبرامج وغيرها.

ب – برامج لتربية الطفل ورعايته: وينبغي أن يكون ثمة تواؤم بين البرامج والمكان بتجهيزاته، وهذه البرامج ينبغي ألا تكون جامدة، وينبغي أن تتصف بالمرونة لتلبية احتياجات الأطفال، ومراعاة الفروق الفردية بينهم، والتواؤم مع ظروف البيئة، وهذه البرامج ينبغي أن تتيح للطفل التفاعل مع أقرانه ومعلمه وبيئة الروضة والبيئة التي يعيش فيها، كل ذلك جميعاً.

ج– معلم أحسنت تربيته Well Educated ، وينبغي ألا يتولى تربية الطفل قبل المدرسة أي معلم، وإنما معلم ربيَ للعمل في هذه المرحلة، ولهذه السن.

وليست هناك حاجة للتأكيد – سواء فيما يتصل بدور رياض الأطفال في مجالي تربية الطفل ورعايته – على أهمية الدور الأساسي للمعلم وغيره من العاملين في الرياض، وما يتطلبه ذلك من أن يعدوا إعداداً مهنيّاً تربويّاً ونفسيّاً بعد اختيارهم على أسس سليمة؛ للتأكد من رغبتهم في العمل بهذه المرحلة وقدرتهم أيضاً على التعامل مع الطفل في هذه السن.

وللمعلم دوره في إشباع حاجات الطفل المختلفة عاطفيّاً وثقافيّاً ونفسيّاً؛ فهناك الطفل المحروم ثقافيّاً أو اجتماعيّاً Cultrually or Socially Deprived ،وهناك الطفل المحروم عاطفيّاً Emotionally deprived . والدارس لتجارب الدول المختلفة يرى كيف أن هناك خبرات أجنبية كان هدفها إشباع حاجات مثل هؤلاء الأطفال المحرومين ، على سبيل المثال، هناك في الولايات المتحدة برامج Headstart، أعدت ونفذت لأبناء الفئات التي تعاني حرماناً، وفي سبيل إشباع حاجات أبناء المحرومين اجتماعيّاً وبخاصة من الزنوج كانت بيئات تربوية – في إطار هذه البرامج– يعيشها الطفل.

وفي مصر عندنا قرية الأطفال المعروفة باسم SOS، وهي اختصار للكلمات الإنجليزية Save our Souls التي تعد نداء استغاثة أو طلب مساعدة؛ وهي من هنا مؤسسة لتربية الأطفال المحرومين من الرعاية.

إن دور المعلم في رياض الأطفال – العادية – يتطلب ألا يكون المعلم معلماً تقليديّاً، ومن أجل ذلك خطت دول كثيرة خطوات نحو إعداد من يعملون في رياض الأطفال إعداداً عالياً، وفق برامج معدة تجعلهم قادرين على تربية الأطفال تربية سليمة.

وبجانب هذا الإعداد بأنواعه المختلفة، يجب أن يكون هؤلاء المشرفون قدوة للطفل؛ حيث لا تربية خلقية سليمة دون أن يرى الطفل في مشرفه النموذج الطيب. وهنا نذكر أن عتبة بن أبي سفيان قد بعث بكتاب إلى مؤدب ولده جاء فيه: ليكن أول ما تبدأ به من إصلاحك بَنيَّ إصلاحك نفسك، فإن أعينهم معقودة بعينك، فالحسن عندهم ما استحسنت، والقبيح عندهم ما استقبحت.

والسؤال:

هل يمكننا تطبيق ما تقدم في تعليمنا وتربيتنا للطفل في مدارسنا ورياض الأطفال؟

وإذا كان ذلك صعباً وبخاصة فلسفات وممارسات منتيسوري وشتاينر، فهل يمكن أن نطبقها في المدن الجديدة التي نبنيها الآن.. بوصفها نماذج أو مراكز تميز ثم نعمل على تعميمها بعد ذلك؟

أهم المصادر:

١ – ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق – القاهرة ١٣٣٢ هـ.

٢ – أحمد إسماعيل حجي: نظام التعليم في مصر – دار النهضة العربية – القاهرة ٢٠٠٠.

٣ – أحمد حسن عبيد : فلسفة النظام التعليمي وبنية السياسة التربوية – الأنجلو المصرية – القاهرة – ١٩٧٦.

٤ – أحمد شلبي: تاريخ التربية الإسلامية – الأنجلو المصرية – القاهرة – ١٩٦٠.

٥ – روت بيرد : جان بياجيه وسيكولوجية نمو الأطفال – ترجمة فيولا الببلاوي – الأنجلو المصرية – القاهرة ١٩٧٦.

٦ – سعد جلال : المرجع في علم النفس – دار المعارف المصرية – القاهرة ١٩٧١.

٧ – سعد مرسي أحمد : فروبل مؤسس رياض الأطفال وفلسفته التربوية – دار الفكر العربي – القاهرة – ١٩٥٢.

٨ – سعد مرسي أحمد : فلسفة إعداد معلم رياض الأطفال – مؤتمر معلم رياض الأطفال – كلية التربية جامعة حلوان – القاهرة ١٩٨٧.

٩ – سعد مرسي أحمد ودكتور حسين كوجك : تربية الطفل قبل المدرسة – عالم الكتب – القاهرة – ١٩٨٣.

١٠ – صالح عبد العزيز: تطور النظرية التربوية – دار المعارف – القاهرة – ١٩٧٠.

١١ – عبد العزيز القوصي: أسس الصحة النفسية – مكتبة النهضة المصرية – القاهرة ١٩٦٢.

١٢ – مدارس والدورف طريقة مختلفة للتعليم – الثورة الفكرية – ٢٠١٩.